﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾

[الأعراف: 196]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ربـطُ بـيـانِ أنَّ مـا سـوى اللـهِ لا نـفـعَ لـه ولا ضـرَّ، بكـوْنِ الله هـو مـن يـهـدي ويحمي

لَمّا ذكرَ في الآياتِ المُتَقَدِّمَةِ أنَّ هذه الأصْنامَ لا قُدْرَةَ لَها على النَّفْعِ والضُّرِّ؛ بَيَّنَ في هذهِ الآيَةِ أنَّ الواجِبَ على كُلِّ عاقِلٍ عِبادَةُ اللّه تَعالَى؛ لِأنَّهُ هو الَّذي يتولَّى تحصيلَ منافعِ الدُّنْيا والدّين[1]، وهو الَّذي نزَّلَ القرآنَ بالحقِّ على رسوله، وهو يتولَّى نصْرَ كلِّ صالحٍ من عباده المؤمنين.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَلِيِّيَ﴾: (فَعيل) من الولي: القُرْبُ، يُقالُ: تَباعَدَ بَعْدَ ولْيٍ، أيْ: قُرْبٍ، وجَلَسَ مِمّا يَليني، أيْ: يُقارِبُني، ومِنَ البابِ المَوْلَى: المُعْتِقُ والمُعْتَقُ، والصّاحِبُ، والحَليفُ، وابْنُ العَمِّ، والنّاصِرُ، والجارُ، و(الوليُّ) من قول القائل: (وَليت أمر فلانٍ)، إذا صرت قيِّمًا به، فأنا أليهِ، فهو وليُّه وقَيِّمُه[2].

2) ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الصَّلاحُ يَدُلُّ على خِلافِ الفَسادِ، يُقالُ: صَلُحَ الشَّيْءُ يَصْلُحُ صَلاحًا، وحَكَى ابْنُ السِّكّيتِ صَلَحَ وصَلُحَ، والمعنى المحوريُّ: سلامةُ الشَّيء، أي: التئامُهُ على حاله الأصليَّةِ تامُّ النَّفع والخير الَّذي أوجِد أو أريد له[3]، والصّالح هو الَّذي صلح باطنًا بالإخلاصِ والتَّجريد، ونضحَ ذلك على ظاهرِهِ بالأعمال الصّالحة، والمسارعة في الخيراتِ.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 433/15.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 489/2، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (ولي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (صلح).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقولُ اللّهُ لنبيِّه محمَّدٍ ﷺ: قل لهم يا رسولَ اللّه: إنَّ نصيري ومُعيني في كلِّ شؤوني، هو اللّهُ الَّذي اصطفاني بالرِّسالةِ، فنزَّل عليَّ هذا الكتابَ العزيزَ (القرآن الكريم)، ودأبُ اللّه مع الصّالحين أنَّه يعينُهم وينصرُهم في أمورِ دينهم ودنياهم.

ضمانُ نصرةِ اللهِ وعونِهِ لنبيِّه، وأنَّه تعالى وليُّ الصّالحين من عباده

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ قولِهِ: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ﴾:

فُصِلتْ هذه الجملة عمّا قبلها؛ لأنَّها وقعت موقعَ التَّعليل لعدم المبالاة المفهوم من قولِه: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾[1]، كأنَّهُ قيل: لا أبالي بكم وبشركائِكم؛ لأنَّ وليّيَ هو اللّهُ تعالى الَّذي نزَّل الكتابَ النّاطق بأنَّه وليّي وناصري، وبأنَّ شركاءكم لا يستطيعون نصرَ أنفسِهم فضلًا عن نصركم[2]، فهذا تَعْليلٌ لِعَدَم الاكْتِراثِ بتَأَلُّبِهم عليه، واسْتِنْصارِهم بشُرَكائِهم، ولِثِقَتِه بأنَّهُ مُنْتَصِرٌ عليهم، بما دَلَّ عليه الأمْرُ والنَّهْيُ التَّعْجيزيّانِ[3].

من حمايةُ العنايةُ؛ لم يضرَّه تأليبُ الغوايةِ

دلالةُ الإيجازِ بحذفِ الفعل:

في قوله: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ﴾، حُذِف فعلُ القول للتَّوصُّلِ إلى مقول القولِ على لسان المبلِّغ مباشرةً؛ ليدلَّ على كمالِ ثقتِهِ بربِّهِ، وتصديق ربِّه لهُ، وتثبيته في تبليغ رسالتِه، ومعنى الآية على قراءةِ الجماعةِ: قل - يا محمَّد ﷺ - لعبدةِ الأوثان، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ﴾، أي: ﴿إِنَّ﴾ نصيري عليكم، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ عَلَيَّ بالحقِّ، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، أي: يَنْصُرُهُم على مَنْ عاداهُم فيهِ.

ولايةُ اللهِ تنزُّلٌ وتكليفٌ، وحمايتُهُ نصرةٌ وتشريفٌ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 307/3.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 136/5.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 224/9.

نكتةُ التَّصديرِ المفيدِ بحرفِ التَّأكيدِ:

ولاءُ اللهِ والبراءةُ من سـواهُ، حمايةٌ لكلِّ من لاذَ بحماه

في قوله: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ﴾، تصديرُ الآيةِ الكريمةِ بحرفِ التَّأكيدِ، يناسبُ الرَّدَّ على هؤلاء المنكرين، ويوحي المخاطب بزيادةِ ثقةِ المتكلِّم، واللهِ ﷻ يتولَّى من يتولّاه، وينصرُ من يستنصرُ به، ويلوذ بحماه، وهو ينصر الصّالِحينَ، ويوفِّقهم للهدى المستبين، ويقوّيهم على مقاومة كيد الشَّيطان اللَّعين[1].

فائدةُ إضافةِ (وليّ) إلى ضميرِ المتكلِّم:

ولايةُ اللهِ لنبيِّه المصطفى، تخصيصٌ ورفعٌ لمقامِهِ الأوفى

في قوله: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ﴾، إضافةُ (وليّ) إلى ضميرِ المتكلِّم، يدلُّ على زيادةِ التَّشريف، وتخصيصِ العناية لولاية اللهِ له ﷺ؛ إذ إنَّ ولايةَ اللهِ للمؤمنين عامَّةٌ، بسبب إيمانهم، وولايتُه للنَّبيِّ خاصَّة؛ لأنَّه أوَّلُ المؤمنين، ولأنَّه أرسلَهُ رحمةً للعالمين؛ لينصرَ بهِ الحقَّ وأهلَه.

سرُّ توجيهِ قراءةِ (وليَّ) بتشديد الياءِ، وإضافتها لياء المتكلِّم:

دلالةُ التَّخفيفِ في لفظ (وليّ) على شدَّةِ القُربِ، وخصوصيَّةِ الوَلاية

قولهُ تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ﴾: بتشديد (وَليّيَ) مضافًا لياء المتكلِّم المفتوحة، وهي قراءةٌ واضحةٌ، أضاف الوليَّ إلى نفسه[2]، وقرأ أبو عمرو في بعضِ طرقه: (إنَّ وليَّ) بياءٍ واحدةٍ مشدَّدة مفتوحة[3]، وفيها تخريجان أحدهما: أنَّ ياءَ فعيلٍ مدغمةٌ في ياء المتكلِّم، والياءُ الَّتي هي لامُ الكلمة محذوفةٌ، وفيه تخفيف في النُّطق، ودلالةٌ على شدَّة القربِ، وخصوصيَّةُ الوَلاية، والآخر: أن يكون (وليَّ) اسمها، وهو اسمٌ نكرةٌ غيرُ مضافٍ لياءِ المتكلِّم، والأصلُ: إنَّ وليًّا اللهُ، فوليًّا اسمُها، واللهُ خبرها، ثمّ حذف التَّنوين لالتقاء السّاكنين، كقوله[4]:

(1) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 224/9.

(2) وهي قراءة ابن كثير، وابن عامر، ونافع، وعاصم، وحمزة، والكسائيّ، ورويس، والبرجميّ، ويعقوب بخلاف عنه. ينظر: ابن مجاهد، السّبعة، ص: 300، 301، وابن الجزريّ، النّشر: 274/2.

(3) ابن الجزريّ، النّشر: 274/2.

(4) البيت من بحر المتقارب، لأبي الأسود الدّؤليّ، وهو في ديوانه، ص: 203، ورواية البيت الأوّل فيه:
فذكّرته ثمّ عاتبتُه *** عتابًا رقيقًا وقولًا جميلًا
ويروى: (ولا ذاكرٍ) بالجرّ معطوفًا على (مستعتبٍ).

فألفيتُهُ غيرَ مُسْتَعْتِبٍ *** ولا ذاكرَ اللّهَ إلّا قليلًا

والإخبارُ عنِ النَّكرةِ بالمعرفة واردٌ، كقول الشّاعر[1]:

وإنَّ حرامًا أن أسُبَّ مجاشعًا *** بآبائي الشُّمِّ الكرامِ الخضارمِ

وتنكير (وليّ) هنا للتَّعظيم؛ لوقوعِهِ مسندًا إليه، ووقوعُ اسم الجلالة الموصوف بخصيصةٍ لا يوصف بها أحدٌ سواه، وكأنَّ المعنى: إنَّ وليَّ اللّه الَّذي هو موصوفٌ بتنزيل الكتاب الكامل المعجز خليقٌ بأن يُعبد، لا تلك الآلهة.

توجيهُ قراءةِ (إنَّ وليِّ اللهُ):

حذفُ ياء المتكلِّم تخفيفٌ لتعظيم الانتساب، والشَّوق للوهّاب

قُرئ: (إنَّ وليِّ اللّهُ)[2]بكسر الياء مشدَّدة، وأصلُها تسكينُ ياءِ المتكلِّم فالتَقَت الياء مع لام التَّعريف، فحُذفَتْ لالتقاءِ السّاكنين، وبقيت الكسرة تدلُّ عليها، نحو: إنَّ غلامِ الرَّجلُ[3]، وفي حذف ياء المتكلِّم والاجتزاءِ بالكسرةِ تخفيفٌ، يوحي بعظمِ الإخبارِ باسمِ الجلالةِ عن الوليِّ، وسرعةُ التَّوصُّل إليه يشير إلى شغفِ المتكلِّم بهِ وشدَّة الرَّغبة فيه.

دلالةُ قراءةِ (إنَّ وليَّ اللهِ):

التَّوسُّع في فهم (الـوليّ) دليلٌ على أهمّيَّةِ هذه القراءةِ في فهم السّياق

قرأ الجُحْدُريُّ في رواية[4]: (إنَّ وليَّ اللّهِ) بياءٍ مشدَّدةٍ واسمَ الجلالةِ بالجرِّ، نقلها عنه أبو عمرو الدّانيُّ، أضافَ الوليَّ إلى الجلالةِ، وتخريجُها على ثلاثةِ أوجهٍ، الأوَّل: أن يكون وليُّ اللّهِ اسمَها، و﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ خبرُها، والمرادُ بالَّذي نزَّل الكتاب جبريلُ، يدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشّعراء: 193]، وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ [النّحل: 102]، وقوله: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى

(1) البيت من بحر الطّويل، للفرزدق، وهو في ديوانه: 300/2.

(2) وهي رواية عن السوسي من النشر، يُنظر: ابن الجزريّ، النّشر: 274/2، والدّمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر: 72/2.

(3) ابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 183/6، والسّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 386/3.

(4) العكبريّ، إعراب القراءات السّبع وعللها: 217/1.

ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: الله تعالى. والثّاني: أن يكون الموصوفُ بتنزيل الكتابِ هو الله تعالى، والمرادُ بالموصولِ النَّبيُّ ﷺ، ويكون ثَمَّ عائدٌ محذوفٌ لفهم المعنى، والتَّقدير: إنَّ وليَّ اللهِ النَّبيُّ الَّذي نَزَّل اللهُ الكتابَ عليهِ، فحذفَ (عليه) كحذفهِ في قولِ الشّاعر[1]:

وإنَّ لساني شُهْدةٌ يُشْتفى بها *** وهوَّ على مَنْ صَبَّه اللهُ عَلْقَمُ

أي: صَبَّه اللهُ عليه. والثّالثُ: أن يكونَ الخبرُ محذوفًا، تقديرهُ: إنَّ وليَّ اللهِ الصّالحُ، أو مَنْ هو صالح، وحُذف لدلالة قوله: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وكقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ﴾ أي: معذَّبون[2].

بلاغةُ قصرِ الولايةِ الحقيقيِّ على اللهِ:

كان يمكنُ في غير القرآنِ أن يقال: (إنَّ اللهَ وليّي)، ولكن عدلَ عن ذلك فقال: ﴿إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّ المعنى تخطَّى مجرَّدَ الإخبارِ عن ولايةِ اللهِ لهُ إلى التَّقوية، وقصرُ الولايةِ على اللهِ وحده قصرُ صفة على موصوفٍ قصرًا حقيقيًّا[3]؛ لإبطالِ ولايتهم لآلهتهم المزعومة، وليجاورَ الموصوف صفته؛ فيكون الحكمُ بالمسند (اسم الجلالة) مُعَلَّلًا بصفةٍ خاصَّةٍ به، تقطع قولَ كلِّ منكرٍ وجاحدٍ.

الدّلالةُ على قصرِ الولايةِ على المولى، ومجاورة الصِّفةِ لمن هو بها أولى

نكتةُ وصفِ اسمِ الجلالةِ باسمِ الموصولِ وصلتهِ:

في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، جيءَ باسم الموصولِ نعتًا لاسم الجلالة، للتَّنْبيه على أنَّ المَوْصوفَ مُخْتَصٌّ بمَضْمونِ هذه الصِّلَةِ؛ بحَيْثُ تُجْعَلُ طَريقًا لمَعْرِفَته، ولزيادَةِ التَّفْخيم لا للتَّعْريف؛ لأنَّ اسمَ الجلالة أعرفُ المعارف، فإنْ أنكره الجاحدون؛ فإنَّهم لا

التَّنبيهُ على اختصاصِ الموصوفِ بجملةِ الصِّلةِ، وأثره في المعنى

(1) البيت من بحر الطّويل، لرجل من همدان، يُنظر: الجرجاويّ، شرح التّصريح: 148/1، وبلا نسبة في تخليص الشّواهد، ص: 165، والمرادي، الجنى الدّاني في حروف المعاني، ص: 474، وابن منظور، لسان العرب: 478/15.

(2) السّمين الحلبيّ، الدّرُّ المصون: 542/5.

(3) كما في قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ كما يشعر به الحصر الذي يفيده تعريف الطّرفين، كما في (صديقي زيد)، ينظر: الآلوسيّ، روح المعاني: 372/12.

يستطيعون إنكارَ حاجتهم إليه في وقت الضُّرِّ، وافتقارهم إليه حينَ البأسِ والشِّدَّة، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس: 12]، وفيهِ تَعْريضٌ ببطلان عبوديَّتِهم، وعجزِ آلهتهم؛ إذْ إنَّهم يتخبَّطون في عبادتهم خبطَ عَشْواء، ويقتحمون فيهِ العمايةَ العمياء، فلا كتابَ لهم على أثرِهِ يقتدون، ولا بهِ يهتدون.

إيثارُ فعلِ ﴿نَزَّلَ﴾ دون سواه:

بيانُ رفعةِ الكتابِ وعلوِّ مكانته وعظمة المُنزِّل وجلالته

في قوله: ﴿إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، أوثر الفعل ﴿نَزَّلَ﴾ من التَّنزيل دون غيرهِ من الأفعال، كالإرسالِ والإيحاءِ والإيتاء؛ لمناسبته السّياق في بيانِ رفعةِ هذا الكتابِ العالي الشَّأنِ في مقابل تدنّي هؤلاء المشركين؛ إذ إنَّهم يعبدون أصنامًا مخلوقةً، لم تخلُق شيئًا، ولا تملك لهم ضرًّا ولا نفعًا، ولدلالةِ الفعل ﴿نَزَّلَ﴾ على عِظَم مكانة المُنزِّل، والمُنَزَّل عليه، والمُنَزَّل لهم، ووثاقة الاعتصامِ باللّه، والالتجاء إليه، أي: كيف لا أتَّخذ اللّه نصيرًا، وهو الَّذي رفع ذكري، وشرَّفني بإنزال الكتابِ العزيز؟

دلالة التَّعبيرُ بصيغةِ الماضي ﴿نَزَّلَ﴾:

التَّعبيرِ بالماضي يدلُّ على شدَّةِ ثقة الرَّسول بربِّه، وقوَّةِ اعتصامهِ بحبلِه

في قوله: ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، التَّعبيرُ بصيغةِ الماضي يشيرُ إلى شدَّةِ ثقةِ الرَّسول ﷺ بربِّه، وقوَّةِ اعتصامهِ بحبلِه، واستحضارِ سوابقِ كرمه، وسوابغِ نعمه وفضله، فاللّهُ الَّذي تولّاه قديمًا، هو نفسُه الَّذي يتولّاه، وينصرُه على عدوِّه في كلِّ وقتٍ وحين.

دلالةُ صيغةِ (فعَّل) في قوله: ﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾:

التَّنزيلُ للتَّكثير، والقرآنُ نزل نجومًا شيئًا بعد شيء[1]؛ لأنَّ

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 15/5.

غـرضُ التَّنزيلِ بصيغة (فعَّل) التَّكثيرُ والتَّدرُّجُ والتَّقويةُ على المدى

المرادَ النُّزول على سبيل التّدريج والتّنجيم[1]، وذهب بعضهم أنَّ (نزَّل وأنزل) بمعنًى واحدٍ[2]، والمعنى الأوَّل آثرُ وأولى؛ لأنَّ تنجيمَ التَّنزُّلِ يواكبُ تطوُّرَ الأحوالِ، ويقتضيه منهجُ الإقناعِ الطَّويل المدى، للتَّأكُّد بأنَّ عبادةَ غيرِ اللّهِ باطلةٌ، وأنَّ دعاء ما يعبد المشركون من الأوثانِ هزُؤٌ باطل، وسُخْفٌ لا يرضاه لنفسه إلّا جاهلٌ سافل، أو أبلهٌ غير عاقل[3]، وأيًّا ما يكن؛ فإنَّ صيغة (فعَّل)، توحي بالتَّقوية والاعتناء والتَّعظيم.

دلالةُ (ال) في لفظ ﴿ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾:

الكتابُ المعجزُ هو الكتابُ الكاملُ في إعجازِهِ وبيانِهِ

في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ﴾، (ال) في لفظ ﴿ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾ للعهدِ، أي: الكتابُ المعهودُ، وهو القرآنُ الكريمُ، وفيها معنى التَّفخيم، أي: الكتابُ العجيب الكاملُ في إعجازِهِ وبيانِهِ، للدَّلالةِ على أنَّه الكتابُ الكامل الَّذي هو جديرٌ بأن يُسمَّى كتابًا، كأنَّ غيرَه ليس جديرًا بأن يسمَّى كتابًا؛ لأنَّهُ من عند الله تعالى.

إيثارُ اسمِ ﴿ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾ على (القرآن):

الدَّلالةُ على وثاقةِ القرآنِ وحفظِه في الصُّدورِ، كما حُفِظَ في السُّطورِ

أوثرَ لفظُ ﴿ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾ على لفظ (القرآن)، للإشارةِ إلى معنى (الكَتْب)؛ وهو الإلصاقُ بقوَّةٍ ودقَّةٍ، كإلصاقِ الإلزامِ والفرض[4] في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ [البقرة: 178]، ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: 183]، فلفظُ ﴿ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾ هنا أنسبُ للسّياق؛ حيث إنَّ الكلامَ فيما مضى عن عجزِ آلهتِهم المزعومة عن نصرهم، فأثبتَ له هنا نقيضَ ما نفاهُ عنهم؛ لأنَّ تنزيلَ الكتابِ نصرٌ، وأيُّ نصرٍ؟ فكأنَّ فيه إيماءً لطيفًا إلى كتْبِ النَّصْرِ له، ومن ذا الَّذي يستطيع أن

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 97/1.

(2) الأزهريّ، معاني القراءات: 167/1، والفارسيّ، الحجّة للقرّاء السّبعة: 161/2، وأبو حيان، البحر المحيط: 168/1.

(3) رشيد رضا، تفسير المنار: 442/9.

(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (كتب).

يمحوَ أمْرًا قد كتبه الله، وأمَرَ به؟ قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: 21].

دلالةُ (الواوِ) بين الحاليَّةِ والعطف:

ربْطُ ولايةِ اللهِ بتنزيلِ الكتابِ، تأكيدٌ على نصرِ الصّالحين أولي الألباب

في قوله: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، الواو حاليَّةٌ أو عاطفة[1]، فعلى الحاليَّة تكونُ فائدتُها ربْطَ ولايته سبحانه لعبادهِ الصّالحين بتنزيل الكتاب الكاملِ المعجز، ولاشكَّ أنَّ تنزيلَ الكتابِ تأييدٌ من اللهِ تعالى للمنزَّل عليه، ونُصْرة له، وعطفُها على جملةِ الصِّلة يجمع أمرين لاسم الموصول الواقع نعتًا لاسم الجلالة: أوَّلهما: ماضٍ مُحَقَّقٌ، وهو تنزيلُ الكتابِ، والآخرُ ثابتٌ مستمرٌّ، وهو كونه سبحانه يتولَّى الصّالحين، وفي كلا المعنيين برهانٌ على ولايةِ اللهِ تعالى للنَّبيِّ ﷺ.

فائدةُ تقديمِ المسندِ إليه على المسند:

القصرُ وتأكيدُ الخبرِ من بلاغةِ تقديمِ المسندِ إليه في المركَّبِ الفعليِّ

في قوله: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، قُدّم المسندُ إليه ﴿وَهُوَ﴾ على المسندِ ﴿يَتَوَلَّى﴾ لتأكيدِ الخبر الفعليِّ، وإفادة الحصر، فلا يتولّاهم أحدٌ سواه[2]، واللهُ كفيل بعبادهِ الصّالحين، يحميهم من كلِّ أذيَّة وبليَّةٍ، ومن ينصره اللهُ فلا غالب له، ومن لفَّهُ بحمايتهِ، لم يضرَّه كيدُ كائدٍ، ولا تآمرُ متآمرٍ.

نكتةُ مجيءِ المسندِ جملةً فعليَّةً فعلها مضارع:

استمرارُ ولايةِ الصّالحين وتجدُّدها من وغدِ الله لعباده

في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، مجيءُ المسندِ جملةً فعليَّة فعلُها مضارع؛ لإفادة تجدُّدِ ولايته تعالى باختلاف أحوالهم وحاجاتهم؛ وصيغةُ المضارع (يتولَّى) تفيدُ استمرارَ ولايته لهم، فلا تنفكُّ عنهم قيْدَ أُنْمُلَةٍ، فمَجيءُ المُسْنَدِ فِعْلًا مُضارِعًا لِقَصْدِ الدَّلالَةِ

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 516/3.

(2) تقديم المسند إليه على الخبر الفعليِّ هنا لإفادة تقوّي الحكم لا محالة، ثمَّ يفيد مع ذلك قصر المسند على المسند إليه، فإنَّه لما كان تقديم المسند إليه، على المسند الفعليِّ في سياق الإيجاب، يأتي ليقوّي الحكم ويأتي للقصر على رأي الشَّيخ عبد القاهر وصاحب (الكشّاف)، كما صرَّح به في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [المزمّل: 20].

على اسْتِمْرارِ هذا التَّوَلّي وتَجَدُّدِه، وأنَّهُ سُنَّةٌ إلَهيَّةٌ، فكَما تَوَلَّى النَّبيَّ يَتَوَلَّى المُؤْمِنينَ أيْضًا[1].

إيثارُ لفظِ ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ دونَ غيرِهِ من الألفاظ:

الصَّلاحُ سببُ ولايةِ الصّالحين، وهم مناطُ القدوةِ للمؤتسين

تنويهًا بمقدار الصَّلاح؛ إذ جُعل صفةَ الأنبياء، وبَعْثًا لآحاد النّاس على الدَّأْب في تحصيل صفته، هذه بشارَةٌ لِلْمُسْلِمينَ المُسْتَقيمينَ على صِراط نَبيِّهم ﷺ، بأنْ يَنْصُرَهُمُ اللّه كَما نَصَرَ نَبيَّهُ وأولياءَهُ[2].

بلاغةُ التَّعريضِ في الآية:

ترك مواجهة الفاسد بفساده، والاكتفاء بالتعريض به، مفتاح لهدايته

في قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، مفهومِ المخالفةِ له: (وهو لا يتولَّى الطّالحين الفاسدين)، وفيه تعريضٌ بهؤلاء المشركين الَّذين فسدت قلوبُهم؛ فكفروا باللّه تعالى، وجحدوهُ، وفسدت أعمالهُم؛ فعبدوا من دونه آلهةً أخرى، لا تملك لهم شيئًا، ولا تستطيع لهم نفعًا ولا ضرًّا.

بلاغةُ التَّذييلِ في الآية:

تقريرُ المضمونِ السّابق، يضمن الرَّبط بين السّياقات

قولهُ تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، تذييلٌ مقرِّرٌ لمضمونِ ما قبله، أي: ومن عادتِه أن يتولَّى الصّالحين من عبادِه، وينصُرَهم، ولا يخذُلَهم[3]، وهو لا يجعل الولاية خصوصيَّةً للرَّسول ﷺ، بل يقول لكلِّ واحدٍ من أتباعِه: كن صالحًا في أيِّ وقت، أمام أيِّ عدوٍّ، ستجدِ اللّه، وهو يتولّاك بالنَّصر[4].

سرُّ العدولِ عن لفظ (المصلحين) إلى لفظ ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

المصلحُ صالحٌ يدعو بالفعالِ واستقامةِ الحالِ، قبل دعوتِهِ بالمقالِ

وعدلَ عن لفظ (المصلحين) إلى لفظ ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لمناسبة السّياق؛ إذ إنَّ الحديثَ عن معاداتهم النَّبيَّ ﷺ وصلاحُه ظاهرٌ لكلِّ ذي عينين، وولايةُ اللّه للصّالحين يدخل فيها ولايتُه للمصلحين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 224/9.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 224/9.
(3) أبو السّعود، تفسير أبي السّعود: 307/3.
(4) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 4530/8.

من باب أولى، ولم يذكرِ (المصلحين) حتَّى لا يُضيِّقَ واسعًا، وليكون دفاعًا عن كلِّ صالحٍ في ذاته، ولو لم يكن قائمًا بدعوة الآخرين بالقال، فهو داعيةٌ بالفعال وصلاح الحال، كما أنَّ ذكر (المصلحين) يأتي عقيب فسادٍ، وليس هذا بمرادٍ هنا، حتَّى يُفيدَ عناية اللّٰهِ تعالى ورعايته بالنَّبيِّ ﷺ بغضِّ النَّظر عن أفعال هؤلاء الكافرين.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الوليُّ والنَّصيرُ:

مجيءُ لفظي (الوليِّ) و(النَّصيرِ) في سياقٍ واحد متعاطفين، دليلٌ على أنَّ بينهما فرقًا، فقد قال اللّٰه تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [البقرة: 107]، وأصلُ الوَليِّ جعل الثّاني بعد الأوَّل، من غير فصل من قَوْلهم: هذا يَلي ذَلِك وليًا، وولّاه اللّٰهُ، كَأَنَّهُ يَلي أمره، ولم يكِلْهُ إلى غَيره، وولّاه أمره، وكَله إليه، كأنَّه جعله بيَدِه، وتَوَلَّى أمر نَفسه: قامَ من غير وسيطة[1]، وأمّا (النَّصيرُ)؛ فإنَّه (فعيلٌ)، من قولك: (نصرتُكَ أنصرك، فأنا ناصرُك ونصيرك)، وهو المؤيِّد والمقوّي[2]، فالولايَة قد تكون بإخلاصِ المَوَدَّة، والنُّصرةُ تكون بالمعونةِ والتَّقوية، وقد لا تمكن النُّصْرَة مَعَ حُصول الولايَة[3]؛ ولذلك جمعَ بينهما في كثيرٍ من الآيات[4].

الولايَةُ إخلاصٌ ومَوَدَّةٌ وتعاونٌ، والنُّصرةُ معونةٌ ودعمٌ وتضامن

نزَّلَ وأنزلَ:

ذهب فريقٌ من العلماء إلى التَّفرقةِ بينهما؛ فالمضعَّف العين (نزَّل)، يدلُّ على التَّدرُّج والتَّكثير، والمتعدّي بالهمزة يدلُّ على النُّزول دفعةً واحدة، ومن هؤلاء الزَّمخشريُّ، حيث يقول: "(فَإِنْ

(نـــزَّل) يـدلُّ عـلى الـتَّـدرُّجِ والـتَّـكـثـيرِ، و(أنزلَ) يدلُّ على الـنُّـزول دفـعـةً واحدةً غالبًا

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 284.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 489/2.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويَّة، ص: 189.
(4) اجتمعا في ثلاثة عشر موضعًا، وهي كالآتي: البقرة: 107، 120، والنّساء: 89، 123، 173، والتّوبة: 74، 116، والعنكبوت: 22، والأحزاب: 17، 65، والشّورى: 8، 31، والفتح: 22.

قُلْتَ): لمَ قالَ: ﴿نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [النساء: 136] و﴿أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ﴾ [النساء: 136]؟ (قُلْتُ): لِأنَّ القرآنَ نَزَلَ مُنَجَّمًا مُفَرَّقًا في عِشْرينَ سَنَةً، بخِلافِ الكُتُبِ قَبْلَهُ. انْتَهَى[1]. وذهب آخرون بأنَّهما لغتان بمعنًى واحدٍ، والتَّضعيفُ للتَّعدية، ومن هؤلاء أبو حيّان، حيث إنَّه ردَّ على الزَّمخشريِّ، بقوله: وهذه التَّفْرِقَةُ بين (نزَّل) و(أنزل) لا تَصِحُّ؛ لِأنَّ التَّضْعيفَ في (نَزَّلَ)، لَيْسَ لِلتَّكْثيرِ والتَّفْريقِ، وإنَّما هو لِلتَّعْدِيَةِ، وهو مُرادِفٌ لِلْهَمْزَةِ[2]، وأرى الاحتكام إلى السّياق، فما جاء بالقراءتين، وصحَّ المعنيان معًا؛ كانت كلُّ قراءة بمنزلة آية، وحُمِلا على التَّنوُّعِ في المعنى، وما امتنع اجتماعُ المعنيين فيهما؛ حملا على التَّوسُّع في اللُّغات.

الصّالحُ والمصلِحُ:

الصّالحُ: اسمُ فاعلٍ من (صلَح)، والصّالح عامل الصَّلاح الَّذي يقومُ به حاله في دنياه، والمصلِحُ: اسمُ فاعلٍ من (أصلح)، من أصْلَحَ الشَّيءَ: أقامه بعد فسادٍ، والمصلح هو فاعل الصَّلاح يقومُ به أمر من الأمور، فلا يقالُ: إنَّ (المصلح) أبلغُ من (الصالح) بحجَّةِ أنَّ الأخير يدلُّ على صلاح الذّات، والأوَّل يدلُّ على تعدّي صلاحه إلى غيره؛ لأنَّ ذلك غيرُ مُسَلَّمٍ، فقد وُصف المصلحون مِنَ الأنبياء والمرسلين والأولياء بالصَّلاح كثيرًا[3]، وجاء الصَّلاحُ بمعنى الإصلاحِ، كقوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾ [المنافقون: 10]، وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١١٤﴾ [آل عمران:

الـصّـالـحُ: من عمل ما يستقيم بـــه حـــالـــهُ، والمـصـلِـحُ: من قـــوَّمَ الـفـسـاد بالإصلاح

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 575/1.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 98/4.

(3) ورد في القرآن والسُّنّة الصّحيحة، فمن القرآن قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩﴾ [آل عمران: 39]، ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٤٦﴾ [آل عمران: 46]، ومن السُّنَّة حديث المعراج، وفيه: «مرحبًا بالنّبيّ الصّالح»، رواه الشّيخان.

114]، ومقام الإصلاح غير مقامِ الصَّلاحِ، وجاء الوصفُ بالمصلحِ في مقاماتٍ محدودةٍ[1]، تشير إلى مجيئه عقبَ فسادٍ، فتدبَّر! قيل: ولهذا لا يوصَفُ سبحانه بأنَّه مصلِحٌ، ولا يوصف بأنَّه صالح[2].

(1) ورد (المصلح) اسم فاعل من (أصلح) مفردًا وجمعًا في خمسة مواضع، هي كالآتي: [البقرة: 11، 220، والأعراف: 170، هود: 117، والقصص: 19].

(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 308.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»